

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُصًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَانْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾:

الحكم هنا هو القضاء فصلاً لخصومة في قضية واقعة، لا الحكم الشرعي العام من الشريعة الإلهية، فإن تفهمه من لزامات الرسالة، وذلك الحكم المختلف فيه بين داود وسليمان كان مسرحاً للامتحان دون امتهان لداود، واحترام لسليمان ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ على سواء، بل ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ...﴾.

إنما ذلك لكي يثبت داود ويعلم معه العالمون أنه خاطئ في حكم خاص لولا تفهيم من الله، فضلاً عن حكم الإمامة الرسالية وهو عامة الشريعة الإلهية.

ويبدو أن داود عليه السلام - لأنه كان الملك النبي والحاكم المطلق في بني إسرائيل، وقد جعله الله خليفة في الأرض: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١) - يبدو أنه لذلك كان هو المسؤول في تلك المنازعة. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فأبدى ما فهمه ربه وطبعاً بإذن من داود، إظهاراً للقصور الذاتي للمرسلين لولا الوحي، ولأهلية سليمان للخلافة بعده^(٢).

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) البحار ١٤: ١٣٢ عن الكافي بسند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمامة عهد من الله ﷻ معهود لرجال مسمين ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتخذ وصياً من أهلك، فإنه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله وكان لداود عليه السلام أولاد عدة وفيهم غلام كانت أمه عند داود عليه السلام وكان لها محباً فدخل داود عليها حين أتاه الوحي فقال لها: إن الله ﷻ أوحى إليّ يأمرني أن أتخذ وصياً من أهلي فقالت له امرأته: فلتكن ابني، قال: ذاك أريد، وكان السابق في =

﴿وَكَلَّا ءَاثِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾!

وهل أن داود حكم قبل أن يفهمه الله؟ وذلك خلاف حكم الله والحكمة الرسالية ولا سيما عند الاختلاف بين حاكمين رساليين!.

كلّا! ولا إشارة هنا أنه حكم، بل ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ دون «إذ حكما» دليل أنهما كانا يتشاوران ويتناظران^(١) في حكم القضية، ثم الحاكمان المتفقان فضلاً عن المختلفين ليسا ليحكمما في قضية واحدة، ولا سيما إذا كان أحدهما الحاكم الأصل والثاني هو الفرع، اللهم إلا تشاوراً في «كيف الحكم»؟ فكلُّ يرتئي رأياً في نقاش بينهما، حتى تنتج الشورى حكماً واحداً.

ثم ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ دليل أنه كأبيه داود كان محتاراً في الحكم خاطئاً لولا تفهيمه.

ثم ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ قد تعني أحكام المرسلين ككل، ولذلك ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ وإلا فحق الصيغة ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٢) أم -

= علم الله المحتوم عنده أنه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيك من بعدك فجمع داود ولده فلما أن اقتضى الخصمان قال سليمان: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً، قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا ثم قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان: إن الكرم لم يجتث من أصله وإنما أكل حملة وهو عائد في قابل فأوحى الله ﷻ إلى داود أن القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به، يا داود أردت أمراً وأردنا أمراً غيره فدخل داود على امرأته قال: أردنا أمراً وأراد الله غيره ولم يكن إلا ما أراد الله ﷻ فقد رضي بنا بأمر الله ﷻ وسلمنا، وكذلك الأوصياء ليس لهم أن يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره.

(١) المصدر عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: لم يحكما، إنما كانا يتناظران ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وفي الفقيه بسنده الصحيح عن جميل عن زرارة مثله.

(٢) البحار ١٤: ١٤١ - عن تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن عبد الله بن يحيى عن ابن =

وبأحرى - لحكمه، والشهادة هي الحضور علمياً وتعليمياً ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ قبل أن يحكم أحدهما.

أم و﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الواحد، حاكمين ومحكوم عليهم، ولكنه - أن عُنِيَ وحده كان خلاف الفصيح والصحيح، والجمع أجمع وأجمل.

فلم يحكم داود - إذاً - بغير الحق خلافاً لأمر الله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١) إذ لم يكن الحكم بالحق في السنة الداودية إلا بالواقع المطلق، وليس - إذاً - إلا بتفهم الله وقد فهمه سليمان دونه للمصلحة.

والروايات الواردة أن داود حكم بخلاف الحق الذي فهمه سليمان، هي مأوِّلة أم خلاف الحق^(٢) ولا يصدق من سواها إلا ما يصدقه القرآن أنهم كانوا يحكمان تشاوراً غير باتٍ ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ فرضياً به حكماً، دون أن يكون هناك نسخ فإنه خلاف النص، وإن النسخ ليس إلا في شرعة لولي عزم ولم يكن سليمان صاحب شرعة مستقلة^(٣).

= مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه السلام: اذهب إلى سليمان ليحكم بينكما فذهب إليه فقال سليمان: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم وكان هذا حكم داود وإنما أراد أن يعرف بني إسرائيل أن سليمان عليه السلام وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم ولو اختلف حكمهما لقال: وكنا لحكمهما شاهدين.

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) المصدر عن الفقيه بسنده الصحيح عن الوشاء عن أحمد بن عمر الحلبي قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن هذه الآية قال: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم والذي فهم الله تعالى سليمان أن يحكم لصاحب الحرث باللبن والصوف ذلك العام كله.

أقول: علّ «كان حكم داود» غير حكمه البات، وإنما كان يرتئي مشورة ولكن حكم سليمان بالصوف واللبن خلاف حكمه إذ حكم بولدها كما في أحاديث أخرى.

(٣) نور الثقلين ٣: ٤٤١ عن الكافي بسند عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول =

وعلى الجملة فالقصد من ذلك التفهيم في ذلك التحكيم للرسول الفرع أمام الرسول الإمام الأصل ليس تحطيم ساحته والمس من كرامته تقديماً للمفضل على الفاضل، وإنما هو لبيان القصور الذاتي حتى للمرسلين حتى لا يزعم زاعم أنهم على شيء من عند أنفسهم، أو أنهم مخولون فيما يحكمون، بل هو فيض قدسي إلهي مستمر مع الرسالات، وليست هذه الفلتات - إن صح التعبير - قاصدة مع المعصومين، إلا بياناً عن ذاتياتهم ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ (١).

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ :

أجل وإن داود هو النبي المفضل في بني إسرائيل بعد موسى والمسيح فإن لهما شأنهما : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٢) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (٣) فليس - إذاً - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ﴾ احتراماً لداود واحتراماً لسليمان، بل هي حكمة بالغة إلهية ولطف خفي بأمر جلي مهما كان ظاهره إمرأاً.

ومن تسخير الجبال معه ﴿يَجِبَالُ أُوتِي مَعَهُ﴾ أوبة منها تتبع أوبته كما

= الله ﷻ : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ...﴾ [الأنبياء: ٧٨] قلت حين حكما في الحرث كان قضية واحدة؟ فقال ﷻ : إنه كان أوحى الله ﷻ إلى النبيين قبل داود إلى أن بعث الله داود: أي غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفس إلا بالليل فإن على صاحب الزرع أن يحفظ بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود بما حكمت به الأنبياء ﷺ من قبله وأوحى الله ﷻ إلى سليمان ﷻ وأي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان ﷻ وهو قول الله ﷻ : ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] فحكم كل واحد منهما بحكم الله ﷻ .

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٠.